بين غزة وإيران.. قراءة في تصريحات جيلا جمليئيل وأبعادها السياسية

د/ محمد أحمد صالح

لا يمكن النظر إلى تصريحات وزيرة الابتكار والعلوم والتكنولوجيا الإسرائيلية جيلا جمليئيل- في مقابلة لها في "عاروتس شيفاع" تحت عنوان "תוכנית ההגירה מרצון מעזה עדיין מציאותית خطة الهجرة الطوعية من غزة مازالت قائمة" (https://www.inn.co.il/news/699632)- باعتبارها مجرد تصريحات إعلامية، بل تأتي ضمن نمط متكرر من الخطاب الإسرائيلي الذي يهدف إلى تحقيق عدة أهداف متزامنة: التأثير على الرأي العام الإسرائيلي، خاصة مع اقتراب الانتخابات الإسرائيلية في أكتوبر ٢٠٢٦م والحملات الانتخابية، وإرسال رسائل ردع للخصوم، واختبار ردود الفعل الدولية، وتثبيت خيارات سياسية طويلة الأجل، وإدارة الحرب النفسية والإعلامية.

فالتصريح المتعلق باستمرار "خطة الهجرة الطوعية" لسكان غزة، بالتوازي مع الحديث عن مستقبل النظام الإيراني، يعكس تصوراً استراتيجياً إسرائيلياً يربط بين ساحتي غزة وإيران باعتبارهما جزءاً من معركة واحدة.

القراءة السياسية للتصريحات

يمكن تقسيم التصريحات إلى محورين رئيسيين:

المحور الأول.. غزة: يتضمن استمرار فكرة "الهجرة الطوعية"، والادعاء بوجود رغبة شعبية واسعة بالمغادرة، والإيحاء بأن المشروع لم يُلغَ رغم الضغوط الدولية. وهذا يعني أن الحكومة الإسرائيلية لا تزال تعتبر تقليص الكثافة السكانية في غزة أحد السيناريوهات المطروحة.

المحور الثاني.. إيران: يتضمن توقع انهيار داخلي، والحديث عن احتجاجات مستقبلية، الإشارة إلى الأزمة الاقتصادية، والتأكيد على إمكانية تغيير النظام، واستخدام خطاب رمزي مثل "التجول في شوارع طهران". وهو خطاب يتجاوز الحرب العسكرية إلى الحرب السياسية طويلة الأمد.

توقيت صدور هذه التصريحات

يمكن تفسير التوقيت ودلالاته بعدة عوامل:

-**محاولة الحفاظ على الزخم السياسي:** بعد أشهر طويلة من الحرب، تحتاج الحكومة الإسرائيلية إلى إظهار أنها ما تزال تمتلك رؤية استراتيجية للمستقبل.

-**طمأنة الداخل الإسرائيلي:** إظهار أن الحرب ليست دفاعية فقط، بل ستؤدي إلى تغيير غزة، وإضعاف إيران، وإعادة تشكيل المنطقة.

-**الضغط النفسي على الخصوم:** الرسالة الموجهة إلى منظمة المقاومة الفلسطينية "حماس"، وإيران، وحزب الله، والفصائل المتحالفة، هي أن إسرائيل لا تفكر فقط في العمليات العسكرية الحالية، وإنما في شكل الشرق الأوسط لعقود قادمة.

تحليل "الهجرة الطوعية"

يُعد مصطلح "الهجرة الطوعية" من أكثر المصطلحات إثارة للجدل. ففي القانون الدولي، يثير أي حديث عن انتقال جماعي للسكان أثناء النزاعات المسلحة أسئلة قانونية معقدة تتعلق بمدى تحقق عنصر الطوعية، خصوصًا إذا كانت الظروف الإنسانية والأمنية تضغط على السكان لاتخاذ قرار المغادرة. لذلك، فإن استخدام مصطلح "الهجرة الطوعية" يُنظر إليه بشكل مختلف من أطراف متعددة، وتختلف التقييمات القانونية والسياسية بشأنه.

الحديث عن استطلاع للرأي

الادعاء بأن آلاف الأشخاص يريدون مغادرة غزة يخدم عدة أهداف سياسية وإعلامية، منها إقناع الداخل الإسرائيلي بأن السكان أنفسهم يريدون المغادرة، وإقناع المجتمع الدولي بأن الأمر ليس تهجيراً، وخلق مبرر

سياسي لأي ترتيبات مستقبلية. لكن دون نشر منهجية الاستطلاع، أو الجهة المنفذة، أو ظروف إجرائه، يصعب تقييم مدى دقته أو تعميم نتائجه.

البعد الإيراني

التصريحات الخاصة بإيران أكثر أهمية من ظاهرها. إسرائيل منذ سنوات تعتبر أن الخطر الحقيقي ليس غزة، ولا لبنان، بل إيران. ولذلك ترى أن أي تغيير داخلي في إيران قد ينعكس على شبكة حلفائها الإقليميين.

التركيز على الاقتصاد الإيراني

الاقتصاد يمثل نقطة ضغط معروفة في أي دولة، وقد يُستخدم في الخطاب السياسي للإشارة إلى هشاشة داخلية. لكن الربط المباشر بين المؤشرات الاقتصادية وحدوث تغيير سياسي يبقى افتراضاً؛ إذ إن تجارب الدول تُظهر أن الأزمات الاقتصادية قد تؤدي إلى نتائج مختلفة بحسب السياق السياسي والمؤسساتي وقدرة الدولة على الاحتواء.

إسرائيل والمراهنة على تغيير النظام الإيراني

تضمن الخطاب الإسرائيلي الرسمي عبر السنوات إشارات إلى أن تغيير سلوك إيران أو طبيعة نظامها قد يحقق لإسرائيل مكاسب أمنية كبيرة، لكن لا توجد دلائل علنية على وجود مسار مضمون لتحقيق ذلك. لذلك يمكن القول إن إسرائيل تتابع التطورات الداخلية الإيرانية وتعتبرها عاملاً مؤثراً في البيئة الأمنية، إلا أن مسألة تغيير النظام تبقى سيناريوًّا سياسياً غير محسوم.

الربط بين غزة وإيران

هناك تصور استراتيجي إسرائيلي يرى أن الساحتين مترابطتان ضمن شبكة إقليمية واحدة. ويقوم هذا التصور على أن النفوذ الإيراني يدعم فصائل مسلحة في المنطقة، وإضعاف هذه الشبكة ينعكس على عدة جبهات في آن واحد.

في المقابل، ترى إيران وحلفاؤها أن الصراع مع إسرائيل يرتبط بقضايا إقليمية أوسع، ما يجعل العلاقة بين الملفين موضع تنافس استراتيجي مستمر.

الرسائل الموجهة

يمكن قراءة التصريحات باعتبارها رسائل متعددة الاتجاهات:

-**الداخل الإسرائيلي:** التأكيد على وجود رؤية بعيدة المدى.

-**الخصوم:** الإشارة إلى استمرار الضغوط السياسية والعسكرية.

-**المجتمع الدولي:** محاولة تأطير بعض السياسات المقترحة ضمن خطاب "الطوعية" أو "التغيير الداخلي".

السيناريوهات الاستشرافية

لا يمكن الجزم بمسار الأحداث، لكن يمكن تصور عدة سيناريوهات عامة:

-**استمرار الوضع الراهن:** بقاء الخلافات السياسية والضغوط المتبادلة دون تغيرات جذرية.

-**تسويات جزئية:** تقدم محدود في بعض الملفات الإنسانية أو الأمنية مع استمرار التوتر في ملفات أخرى.

-**تصعيد إقليمي:** اتساع دائرة المواجهات أو الضغوط المتبادلة، وهو سيناريو يعتمد على تطورات يصعب التنبؤ بها.

-**تغيرات داخلية في بعض الدول:** احتمال حدوث تحولات سياسية أو اقتصادية، لكن طبيعتها وتوقيتها غير قابلين للتحديد مسبقاً.

ختاما

تعكس تصريحات جيلا جمليئيل رؤية سياسية إسرائيلية تربط بين مستقبل غزة والبيئة الإقليمية، مع التركيز على إيران باعتبارها لاعباً رئيسياً في معادلات الأمن الإقليمي. غير أن التصريحات السياسية لا تعني بالضرورة وجود سياسات قابلة للتنفيذ أو نتائج حتمية، كما أن كثيراً من القضايا المطروحة- مثل الهجرة، والتغيرات الداخلية في الدول، وإعادة تشكيل التوازنات الإقليمية- تعتمد على عوامل معقدة ومتغيرة، إضافة إلى مواقف الأطراف المعنية وردود فعل المجتمع الدولي.

وبالتالي، فإن أفضل قراءة لهذه التصريحات هي اعتبارها جزءاً من خطاب استراتيجي وسياسي يسعى إلى التأثير في إدراك الأطراف المختلفة، أكثر من كونها مؤشراً مؤكداً على مسار مستقبلي محدد.